

أحمد محمد شاكر

بني وبين
الشيخ حامد الفقي

شوال سنة ١٣٧٤ = مايو سنة ١٩٥٥

دار المعارف بمصر

وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ
فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِرُكْعَةِ اللَّهِ وَرُكْعِهِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
رسول الله ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الخلق أجمعين ،
وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين .

وبعد :

فما كنتُ لِأَوَدَّ أَنْ أَقِفَ مِنْ صَدِيقِ الْقَدِيمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ
حَامِدِ الْفَقِيِّ — هَذَا الْمَوْقِفَ . وَلَكِنَّهُ أَبَى إِلَّا أَنْ يُدَمِّرَ صِدَاقَهُ
عَاشَتْ عَلَى الدَّهْرِ قَرَابَةُ نِصْفِ قَرْنٍ . وَلَكِنَّهُ سَتَمَهَا فَدَمَّرَهَا
تَدْمِيرًا .

وَلَيْسَتْ فَعَلَتْهُ هَذِهِ بِأَوَّلِ مَا فَعَلَ ، وَلَكِنَّهَا خَاتِمَتُهُ الَّتِي

جميع الحقوق محفوظة

اختارها وعمل لها بضع سنين ، إن لم يكن أكثر ، ونحن لا ندري .

ولست أظن بصديقي القديم — وهو قوى الذاكرة ، حافظ للأحداث — أن ينسى ما فعل ويفعل ، أو ينسى ما خطته يمينه ، مما لا نريد كشف الغطاء عنه .

وقد اعتدنا طول حياتنا الأخوية أن نختلف في الرأي ، وأن يطول بيننا الخلاف والجدال ، فلا يغضب أحدا منا خلاف الآخر إياه . واعتدنا أن ينقد أحدهنا الآخر أشد النقد ، فلا يظهر لهذا النقد أثر فيما بيننا . ولكن الصديق القديم اختط لنفسه منذ بضع سنين ، خطة الاستعلاء والطغيان العلمى — بما اعتقد في نفسه أنه أعلم الناس في هذا العصر ، كما صارحنى بذلك . حتى لقد صارحته حينذاك بأن لا أجادله في العلم ، لئلا أؤرث حقه الذى بدا ، ولا أثير طغيانه الذى اتخذ لنفسه سبيلاً .

ولكن كان يغلبنى الفينة بعد الفينة ما درجنا عليه عمراً طويلاً ،

فأناقشه في شيء من العلم ، ثم أستدرك خطي وأسكت . فكان آخر ذلك أن قرأت في مجلة (الهدى النبوى) في عدد (شهرى رجب وشعبان سنة ١٣٧٤) تعليقاً له على رسالة منشورة في المجلة ، من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية — فهمت من هذا التعليق أنه يتضمن تكذيباً لشيخ الإسلام ، يكاد يكون صريحاً في ذلك . فكبر على الأمر ، ولم أجد مناصاً من وضع الحق في نصابه ، وتبرئة شيخ الإسلام رحمه الله من هذه التهمة ، ومحاولة تبرئة الصديق القديم من أن يرمى إلى هذا أو يقصد إليه . ووضعت بين يديه فرصة يهتبلها ، لتأويل ما أفلت من قلمه من الباطل . أو للاعتراف بالخطأ صراحة والرجوع عنه علناً ، وإن لم يكن لى في ذلك أمل ، فأنا أعرف صديقى . فكتبت مقالاً يوم الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١٣٧٤ ، وأرسلته إليه بالبريد المسجل ، لما يشق على من كثرة الحركة في رمضان ، مع ارتفاع سنى وضعف صحتي .

وكان أكثر ما أخشاه أن يطوى المقال فلا ينشره في المجلة ،

لما أعرّفه من خُلُقِه . فحاولتُ الاتصال به تلفونياً في منزله وفي مقرّ (جماعة أنصار السنة المحمدية) مراراً ، فلم أوفق . فحدثُ صديقاً لي وله — كريماً — في هذا الشأن ، ورجوته أن ينصحه بنشر المقال والتعقيب عليه بما شاء . ثم زارني هذا الصديق الكريم ، في رفقة من إخواننا مساء الخميس ٢٠ رمضان — فأخبرني أنه استطاع هذا اليوم الاتصال بالشيخ حامد ، وحدثه بشأن المقال ، فأنكر له أنه ورد إليه . فعجبتُ وسكتُ . ثم جاء الصديق القديم الشيخ حامد مصادفةً ونحن بالجلس ، فلم أستحسن أن أتحدث إليه في ذلك على ملاٍّ من الحاضرين . ولكنني حدثته بشأنه منفردين عند عزمه على الانصراف — فكان حديثاً عجباً :

لم أخبره بما قال الصديق الكريم لئلا أُخرجه . بل سألتُه عن المقال ونيتِه فيه . فقال : ولماذا تهتمّ به وتريد نشره ؟ وفهمتُ منه أنه لا يريد نشره . فأفهمته وجهة نظري : أني أرمي بذلك إلى تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية من شبهة تظهر من

كلامه (أعنى كلام الشيخ حامد) . فقال لي — وهو يحاورني : « ابن تيمية بتاعى قبلك ! فأجبتُه بأن ابن تيمية ليس خاصاً بي ولا بك ، بل هو لجميع المسلمين . وتحاورنا قليلاً نحو هذا المعنى ، ثم سكتُ — كعادتي معه — إذ لم أجد فائدة من الكلام . واستيقنتُ حينئذ أنه سيطوى المقال ، وأنه غيرُ ناشِرِه . فلم أحرّكُ ساكناً بعد ذلك ، حتى أرى عاقبة أمره . ولم أعجب من إنكاره للصديق الكريم وصول مقالِي إليه — صدرَ النهار ، واعترافه لي ضمن كلامه — مساء اليوم نفسه ! فإن الحقائق عند الصديق القديم تتغير بتغير المتحدث إليه . وأنا أعرف صديقي .

وكان من المصادفات التي لم يكن لي يدّ فيها : أن وصل إلى يوم الأربعاء ١١ رمضان سنة ١٣٧٤ كتابٌ طبع حديثاً ، فيه أربع رسائل ، ثلاث منها تأليف عالم فاضل من إخواننا علماء الحجاز السلفيين ، هو (الشيخ محمد سلطان المعصومي الحبندى) ، حفظه الله . والرابعة من تأليف (الشيخ محمود شويل) رحمه الله .

كلها في الرد على الشيخ حامد الفقى .

وهى : (تنبيه النبلاء من العلماء . إلى قول حامد الفقى : إن الملائكة غير عقلاء) . و (القول الفصل ، فى حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل) ، وهذه للشيخ محمود شويل . و (الرد الوفى ، على تعليقات حامد الفقى) . و (نعمة جديدة من رئيس أنصار السنة المحمدية) .

فحين جاءنى هذا الكتاب وقرأته تأكد مصير مقالى عنده . فإن الصديق القديم بعيد النظر فى مثل هذه الشؤون ، لا يأمن لأحد من إخوانه ، ولا يثق بصدق أحد ولا بصداقته . يغلبه سوء الظن بالناس ، حتى بأقرب الناس إليه . ففهمت أنه سيربط بين مقالى وبين هذا الكتاب برباط وثيق ، ويعتبرها جزءاً من مؤامرة ينسج شباكها (المعوقون الذين يلتقون فى طريقه الغبار والأشواك) — كما يقول . وعلمت أنى مهما أفعَلُ لأنفى العلاقة بين مقالى وبين الكتاب — ومع معرفته بخلقى ، ويقينه من نفورى من المؤامرات والدسائس — فما ذلك بنافعى

عنده ، ولا بمبرئى من سوء ظنه . وأنا أعرف صديقى . فلم أقل شيئاً ، ولم أحرّك ساكناً ، حتى أستبين عاقبة أمره .

ثم جاءنى بالبريد ، العدد التالى من مجلة (الهدى النبوى) — عدد رمضان وشوال سنة ١٣٧٤ — فتحقق ما استيقنت من قبل : طوى مقالى فلم ينشره ، ولم يؤد الأمانة التى أوثمن عليها . ووجدت بدلاً منها مقالاً بقلمه ، يبرأ فيه من رمى شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب ، وحسنًا فعل . وليته اكتفى بهذا فستر نفسه ! ولكنه ذهب يتأول كلامه لينفى عن نفسه التهمة ، بطريقة عجيبة ، تثبت عليه الذى يتبرأ منه ، والذى كنا نحسن الظن به فنفهم أنه لم يقصد إليه ، وأنه إنما أفلت منه عن تعجل كعاداته . ثم ملأ مقاله بمدح نفسه ، بما الله أعلم بحقيقته منه . وختمه بالغمز واللمز كعهدنا به ، ولم يذكر اسمى فى مقاله ، ترفعاً منه واستكباراً . فرأيت أن أضع الحق موضعه ، وأن أوذى الأمانة التى أوثمنت عليها . ولم أجد من اللائق بى وبه ، أن ألجأ إلى

صحيفة أخرى غير مجلته . ووجدتُ أنَّ خير ما أعمل ، أن
أنشر على الناس هذا الكتاب ، أثبتُ فيه مقالاً كاملاً ، ومقاله
كله ، غير مُخَفٍّ منهما حرفاً واحداً . ثم أعقبَ على مقاله فيما
يتصل بالمعنى العلمى ، معرضاً عن اللغو ، وعمّا اجتراً عليه من
الغمز واللمز . فما كان ذلك لينصر رأياً ، أو يُقيم حجةً على
أحد . وما كان ذلك من شأن أهل العلم .

وسيقراً كتابى هذا إخواننا السلفيون ، أنصار السنة ،
وغيرهم من أهل العلم ، فى مصر وفى غير مصر — إن شاء الله —
وسيكون رأيهم الفيصل ، وقولهم الحَكَم ، فيما بينى وبينه .
والله يَهْدِينَا جميعاً إلى سواء الصراط ؟

الإثنين } ٨ شوال سنة ١٣٧٤
٣٠ مايو سنة ١٩٥٥

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

بمنه

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى
رئيس جماعة أنصار السنة ورئيس تحرير مجلة الهدى النبوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تزاملنا وتآخينا منذُ أكثر من خمسٍ وأربعين سنةً ، لله
وفى سبيل الله . نصدُر عن رأىٍ واحد ، وعقيدةٍ سليمة صافية ،
فى الاستمساك بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا
نُحِيدُ عنهما ما استطعنا ، وفى نُصرة العقيدة السلفية ، والذبِّ
عنها ما وسعنا ذلك . لم يصرفنا عما قُمنا له وبه ، واضطلعنا
بالذبِّ عنه ، ما لقينا وما نلقى من أذى أو عنت . ولعلنا
— فيما قُنا به معاً — من أول العاملين على نشر العقيدة الصحيحة
فى بلادنا هذه . وما أريدُ بهذا فخراً بعملى ولا بعملك ، فما كنّا
نعمل إلا لله .

وكان من أعظم المصادر العلمية التي استضأنا بنورها - بعد الكتاب الكريم والسنة المطهرة - كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام الحافظ ابن القيم ، ثم كتب شيخ الإسلام (مجدد القرن الثاني عشر) محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله جميعاً .

وكان مما قرأنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وما كتب الناس حوله ، من مؤيديه وأتباعه ، ومن خصمه وأعدائه - أن وجدناه رجلاً مكذوباً عليه ، يفتري عليه عدوه الفري ، ويرمونه بالأكاذيب ، ويقولونه ما لم يقل ، وينسبون إليه ما لم يفعل . بعامل العصبية الجامحة ، والحق الذي ملأ قلوبهم . مما يطول شرحه أو تفصيله ، ولعلك أعلم به مني ، بل أنا أثق بذلك .

ولكنني - فيما قرأت ، وما أكثر ما قرأت - لم أجد واحداً من الناس ، متقدميهم ومتأخريهم ، رمى شيخ الإسلام بالكذب فيما يحكى أو ينقل ، أو بالوهم والتخيل فيما يرى

ويسمع ويقول . وأعتقد أنك لم تقع على شيء من ذلك أبداً . فلقد أخذت مني الدهشة مأخذها - إذن - حين قرأت في مجلة (الهدى النبوي) ، في عدد شهرى رجب وشعبان من المجلد ١٩ سنة ١٣٧٤ ، في ص ٣١ ، أثناء فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، (في الرد والإنكار على طوائف من الضلال) تعليقك على كلام الإمام شيخ الإسلام ، حين يقول : (وأما كونه لم يتبين له كيفية الجن ومقاماتهم ، فهذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه ، لم ينكر وجودهم . إذ وجودهم ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة . فإن من الناس من رأى رآهم ، ومنهم من رأى من رآهم ، وثبت ذلك عندهم بالخبر اليقين . ومن الناس من كلمهم وكلموه . ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم . وهذا يكون للصالحين ولغير الصالحين . ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطل الخطاب . وكذلك ما جرى لغيرنا) .

أدهشني أكبر الدهشة ، وأنكرت أشد الإنكار - تعليقكم

في هامش الفتوى ، عند قوله (ويتصرف فيهم) ، بما نصه :
 « ليس ثمَّ دليل على صدق أولئك المخبرين . ولعل أكثرهم
 كان واهماً ومتخيّلاً . وقد قال الله : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ . »

فأول ما آخذه على قولتك هذه ، أنها رمي صريح لشيخ
 الإسلام بالكذب والافتراء ! أو عل الأقل بالغفلة والغباء !
 فإنك تراه يزعم أن « من الناس من رآهم » و « من الناس كلمهم
 واكلوه ، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم » — ثم
 يقول : « ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطل
 الخطاب » . وليس لهذا الكلام معنى في لغة العرب إلا أن شيخ
 الإسلام رحمه الله كان له مع الجن شيء مما حكاه : إما أنه رآهم ،
 وإما أنه كلمهم واكلوه ، وإما أنه « يأمرهم وينهاهم ويتصرف
 فيهم » . فإذا عقيبت أنت على هذا القول بأنه « ليس ثمَّ دليل
 على صدق أولئك المخبرين » — لم يكن معناه إلا أن هذا الذي
 حكاه شيخ الإسلام لم يقع منه شيء ، لأنه ليس هناك دليل

— عندك — على صدق المخبرين « ولعل أكثرهم كان واهماً
 ومتخيّلاً » !! وهؤلاء المخبرون : شيخ الإسلام ، فيما زعم أنه
 جرى له ، وغيره الذين لم يُسمَّهم « من أصحابه » . وليس لنا شأن
 بمن لم يُسمَّ هو من أصحابه ، وإن كنا موقنين من توثقه وتحرّيه
 فيما يحكي عنهم ولو إجمالاً . إنما الشأن فيما حكاه هو عن نفسه !!
 وأعيدك بالله من أن تقصد إلى رمي شيخ الإسلام — عن
 عمدٍ — بما يفهم من قولك ، إذا فهم بدلالة لسان العرب .
 وأقصى ما أستطيع من حمل كلامك على أحسن محامله ، بحسن
 الظن بك — أنك رأيت رأياً رسخ في قلبك ، وغلبك رأيك
 فلم تستطع له دفعاً ، فجرى به قلمك حين رأيت القول بأن
 « من الناس ومن الناس . . . » ، فكتبت تعليقك
 عنده ، قبل أن تقرأ ما جاء بعده ، من أن شيخ الإسلام يثبت
 شيئاً كثيراً من ذلك جرى له ولأصحابه مع الجن . بل لعلك
 حين هدأت نفسك ، واستراح قلبك بما خرج منه — لم
 تقرأ آخر الكلام ، أو قرأته غير عابئ به ، ولا ملق له بالاً ،

ولا مُتَعَمِّقٍ فيما وراءه من معنَى !
ولستُ أدري أيقومُ هذا الاعتذارُ أم ينهار ؟ إنما هذا هو
الذي صنعتُ يدُك .

* * *

ثم أكرر من هذا وأشدُّ خطراً : أنَّ إنكارك ما أنكرت ،
فيه إنكارٌ لكثيرٍ مما ثبت بالسنة الصحيحة ، التي عشنا عمرنا
ندفعُ عنها ، ونردُّ على منكريها ، ونعيبُ متأوليها بما يُخرج
الكلام عن معناه الصحيح . ولعلك تذكر من هذا الشيء الكثير .
ولستُ الآن بصدد تحقيق الأحاديث الثابتة ، في رؤية بعض
الصحابة رضوان الله عليهم — للجن ، وتصديق رسول الله صلى
الله عليه وسلم لهم ، فيما حكوا عما رأوا . فأنا أثقُ أنك قرأت
من ذلك ما قرأت أو أكثر منه ، وأنت عرفتَه حقَّ المعرفة .
وإنما يكفي من ذلك الإشارة :

فحديث أبي هريرة في صحيح البخارى (٤ : ٣٩٦ — ٣٩٨
من فتح البارى) — فيه قصته مع الجنى الذى كان يأخذُ مما

كُلِّفَ أبو هريرة بحفظه من زكاة رمضان ، وأخذه إياه . ثم إنه
خلى عنه حين أبدى له حاجته وحاجة عياله . وقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : « أمّا إنه قد كذبتك ،
وسيعودُ » فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال له الجنى :
« دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا » ، ثم علّمه أن يقرأ
آية الكرسي ، وأنه لن يزالَ عليه من الله حافظٌ ولا يقربه
شيطانٌ ، حتى يُصْبِح . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأبي هريرة : « أمّا إنه قد صدّقك ، وهو كذوبٌ . تَعْلَمُ مَنْ
تخاطبُ مُدَّةَ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك
شيطانٌ » . وهذا حديث صحيح صريح ، لا يحتمل تأويلاً ،
إلا تأويلَ أهلِ الأهواء ، ممَّن لا يأخذون بالسنة الصحيحة ، أو
بعبارةٍ صريحةٍ مطابقةٍ لحالهم : « من الذين لا يؤمنون بالغيب » .
وأعيدُك بالله أن تميلَ إليهم ، أو تأخذَ مأخذَهم .

وقد أثبت الحافظُ في ذلك الموضع كثيراً من الأحاديث في
هذا المعنى . ثم عرّض للاحتجاج بالآية التي تأولتها على غير

وجهها — فيما كتبت — فذكر أن قوله تعالى : ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ — « مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها » . وهو تفسير لا بأس به عندي . وأجود منه أن يكون قوله تعالى ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ — خاصاً بحالة أو ناحية لا نراهم منها ، بدلالة كلمة « من حيث » . وأن هذا لا ينفي رؤيتهم من نواحي آخر .

وأقوى من هذا دلالة — فيما أرى : أن الجن لم يكونوا ، ولن يكونوا أرقى من الملائكة ولا أعظم خلقاً منهم . ورؤية الناس للملائكة ثابتة ثبوت القطع الذي لا شك فيه ، حين يتشكلون على صورة تستطاع رؤيتهم بها . ويكفي من هذا حديث جبريل ، في سوء آلاته عن الإسلام والإيمان والإحسان ، الثابت في دواوين الإسلام ، والذي لا يشك في صحته ولا ثبوته أحد يؤمن بالغيب .

وبعد : فهذه كلمة عابرة ، لإزالة شبهة عنك أولاً ، وعن أهل العلم بالحديث ثانياً . أمّا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإنه

أرفع منزلة عندي وعندك من أن يصل إليه تكذيب أو شك في صدقه فيما يحكي أو ينقل . وأنت أول من يوافق على ذلك ، إن شاء الله .

فأمل منك — إحقاقاً للحق ، ورفعاً للشبهة ، أن تنشر كلتي هذه كاملة بنصّها . ثم لك كل الحق أن تعلق عليها أو تردّ بما تشاء . والله سبحانه يتولانا جميعاً بهدايته وتوفيقه .

أحمد محمد شاكر

مساء الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١٣٧٤

٢٦ أبريل سنة ١٩٥٥

والله عندي عجيبة جد عجيبة . ولكنني قصدت إلى أن أقطع على الدجالين سبيل اتخاذهم لما يحكى من ذلك حجة لهم على ما يدجلون به على الدهماء ، ويستغلونهم به أسوأ استغلال . كما هو شائع قد ابتلى به أكثر العوام وأشباههم ، فاستولت عليهم الأوهام والخرافات حتى فسد تفكيرهم ، وفسدت نظرهم إلى كل شأن في الحياة . وترتب على ذلك ما أصيبوا به في هذه الأعصر من التأخر في ميادين الحياة العملية ، وانحلال الأخلاق ، ووهن العزائم .

وكيف يتوهم متوهم في حامد الفقى الذى وقف حياته على نشر علوم ابن تيمية ، وتخصص فيها من يوم أن كان اسم ابن تيمية لا يذكر إلا مقروناً باللعنة على السنة الوثنيين الجاهلين . وما زلت — بحمد الله أصبر على ما ينالني من أذى — حتى أقبل الناس اليوم على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية يقدرونها قدرها ، وينتفعون بها ويحرصون عليها . ولقد نفعني الله بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم نفعاً أعده من أجل نعم الله عليّ . ومن

مقال الشيخ حامد الفقى

بنصه حرفياً :

أبرأ إلى الله من سوء الظن بشيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه

لست أدري كيف تطرق إلى ذهن بعض الإخوان اتهامى شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب من تعليقاتي في الهدى (عددى رجب وشعبان) التى أقول فيها « ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين » أى ليس ثم دليل من الكتاب والسنة يعتمد عليه في هذه الأمور الغيبية . ونفى الدليل على وقوع ما يذكره الناس من رؤيتهم للجن ، لا يعطى مطلقاً رضى شيخ الإسلام بالكذب — حاشاه . وبراءة الله — وما كنت أتصور مطلقاً أن يحملها حامل على أنى أرمى شيخ الإسلام بالكذب . فهى

أشد وآكد وصاياي لإخواني أنصار السنة : أن من لم يتضلع من كتب الشيخين ، لا يمكن أن يكون سلفياً بالمعنى الصحيح ، ولكنى أحمد الله وأدعو لشيخ الإسلام دائماً بالمغفرة والرضوان ، وأضعه من نفسى أجل موضع : أن تعلمت منه مقت التقليد أشد مقت ، لما يفضى إليه — كما عرفت من شيخ الإسلام ابن تيمية — إلى أسوأ العواقب فى الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع . فلست أقلد ابن تيمية ولا ابن القيم ولا غيرهما ، ولا أتخذهم أرباباً من دون الله ، بل العلماء عندى بشر يخطئون ويصيبون .

ونفى صدق الدليل الشرعى : أقصد منه خطأ من يثبت تيسر رؤية الجن ، كرواية المرئيات العادية ، فإن « الجن » بلا شك من عالم الغيب الذى تؤمن به ، على ما صح وثبت عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نزيد بعقلنا ولا بعقل غيرنا . فحديث الشيطان الذى كان يسرق من تمر الصدقة تؤمن به أصدق الإيمان ، ونعتقد أنه ليس عاماً بالنسبة إلى كل الناس ، وفى جميع الأوقات . فهو كحادثة الجريدة التى شقها الرسول صلى الله عليه

وسلم نصفين ، ووضع كل واحد من شقيها على قبر من القبرين اللذين كان يعذب أصحابهما وقال « إن الله يخفف عنهما ما لم ييبسا » أو كما قال . فهى حادثة خاصة ، لا تعطى حكماً عاماً أبداً . وقد روى البيهقى فى مناقب الشافعى رحمه الله عن الربيع بن سليمان أنه سمع الشافعى يقول « من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته ، إلا أن يكون نبياً » وراجع تفسير المنار لقول الله تعالى ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ .

ومن قديم عودنى ربى سبحانه ، وله الحمد ، على أن أمضى فى طريقى ذاهباً إلى ربى ليهدينى ، ويثبتنى . لا أعبأ بما يحاول المعوقون أن يلقوا فى طريقى من غبار ، أو أشواك ، وأن يوهنوا من دعوتى بأنها شذوذ ، وتشديد فى أمور سهلة ، هى التوسل بالأولياء ، وترك لما هو أهم ، وغير ذلك . فما كان — ولا يزال — يقع به المعوقون . فاليوم — وقد قطعت مع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وإخوانهما من السلفيين القدامى ، رضى الله عنهم ، نصف قرن — لا يهمنى مطلقاً أن يقع حولى بهذه

الشنان . فليرح نفسه من يحاول ذلك ، ويذهب متتبعا سقطات ،
فأين كان يوم نقدت ابن تيمية في رسالة العبودية ، وكتاب اقتضاء
الصراط المستقيم ، وغيرها مما علقت عليه . وأعوذ بالله ، وأعيذ
إخواني بالله ، أن أكون أو يكونوا من الذين يصدر عن
هوى أو شبهة ، أو مقاصد لا تتفق وهدي الرسول صلى الله عليه
وسلم ﴿ ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك
رهوف رحيم ﴾ .

غفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . ورضى الله عن
شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ما أحبته بقدر ما نفعني الله بعلمه
وفقهه . فكان حبه سببا في شديد أذى صبرت عليه ، بفضل الله
وتوفيقه . حتى كانت العاقبة الحسنى . وجمعنا الله وإياه مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .
وحسن أولئك رفيقا .

محمد حامد الفقي

التعقيب

على مقاله

وقد بدأ الشيخ مقاله بالبراءة إلى الله من سوء الظن بشيخ
الإسلام ابن تيمية . ثم ذكر أن تعليقه الذي أخذناه عليه
« لا يعطى مطلقاً رمى شيخ الإسلام بالكذب — حاشاه
وبرأه الله » .

أما سوء الظن بشيخ الإسلام ، فما نسبناه إليه قط ،
ولا نستطيعه . لأنه من أفعال القلوب ، التي لا يطلع على حقائقها
إلا الله تعالى ، الذي يعلم ما تُكِنُّ الأنفُسُ وما تُخْفِي القلوبُ .
وإنما الكلام فيما يدلُّ عليه تعليقه — أو يُوهِم — أنه نسبة
الكذب إلى شيخ الإسلام — حاشاه الله وبرأه منه . وإنما
الكلام فيما حاولنا أن نبرى الصديق القديم مما يوهم كلامه ،
ورجونا أن يبرأ منه براءةً صحيحة واضحة صريحة ، فأبى .

وهذا من مواقف الرجال ، التي لا يصلح فيها التأوُّلُ ولا الالتواء : فإما نفى^١ لما يوهمه الكلامُ نفياً قاطعاً ، واعتراف^٢ واضح بالخطأ في التعبير . وإما التزام^٣ لما يقتضيه معنى الكلام ، ثم الثباتُ عليه ، أيّاً كانت العواقب . أما التأرجحُ بين النفي والإثبات ، وأما المحاورةُ والمداورةُ ، فلا تزيد الأمرَ إلا شناعةً .

لقد حكى^٤ شيخُ الإسلام أنَّ من الناس مَنْ رأى الجنَّ ، ومَنْ رأى من رآهم ، ومن الناس من كلّمهم وكلّموه ، ثم قال بعد ذلك : « ولو ذكرتُ ما جرى لى ولأصحابي معهم [أى مع الجنَّ ، ببداهة السياق] ، لطال الخطاب » . وهذا كلام ليس له معنى في لغة العرب إلا أنَّ شيخَ الإسلام يحكى أنه جَرى^٥ له نفسه شئ^٦ من هذا ، كما قلتُ لك في مقالى . فإذا جئتَ أنت وعلّقتَ على هذا القول بأنه « ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين » — الذين منهم شيخ الإسلام ، بدلالة صريح الكلام — ألا يُوقع هذا القولُ منك في وهم القارىء أن هذا القائل الذى يدعى أنه « جَرى له » شئ^٧ من هذا مع

الجنَّ — لم يكُ صادقاً ، أو على الأقل أنه لم يكن متحريراً للصدق ؟ ! ومع هذا فإنني برأتُك بالقول الصريح « من أن تقصد إلى رمي شيخ الإسلام — عن عمدٍ — بما يُفهم من قولك » !

* * *

وأنا أثقُ كل الثقة ، أنك لا تستطيع رمي شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب والافتراء ، ولا تعتمدُ إلى ذلك قطّ — على كثرة ما يجرى على لسانك وعلى قلمك من الطعن في الأئمة والعلماء ، ورميهم بالكذب والافتراء — لسبب واحد أعرفه وتعرفه : وهو أن لشيخ الإسلام ابن تيمية مَنْ يَغْضَبُ له ، وَيَقْلِي شائئيه ومبغضيه . وأنت أحرصُ من أن تقف هذا الموقف . وخاصة أن كنتَ في أول أمرك من مُحِبِّيه ومُعْظِمِيه . وأنا أعرف صاحبي ، يا صاحبي .

ولكنك أفلتتَ منك كلمةً عابرةً ، غفلتَ عن مرماها وما وراءها . فحين كشفتُ لك غطاءها ، ووقفْتُك على

ما وراءها ، ثارت ثائرتك ، وكبر عليك أن يُكشَفَ الستارُ
عما تُجنُّ نفسك ، فاندفعت — كعادتك — غير متبصِّرٍ عاقبةً
أمرك ، ولا ناظرٍ إلى ما تحت قدميك . وقد نصحتك فكبر
عليك النصيح ، وحذرتك — إبقاءً عليك — فأسأت الظنَّ بي ،
كعادتك مع إخوانك ، فسقطت في الحفرة بين قدميك ،
وكنتُ من هذا أخشى عليك .

إنك — في دفاعك المُنْهَارِ — تفسِّرُ كلمتك « ليس ثم
دليل على صدق أولئك المخبرين » — بقولك في صدر مقالك :
« أى ليس ثم دليل من الكتاب والسنة يعتمد عليه في هذه
الأمور الغيبية . ونفىُ الدليل على وقوع ما يذكره الناس من
رؤيتهم للجنِّ ، لا يعطى مطلقاً رعى شيخ الإسلام بالكذب —
حاشاه . وبراءة الله — وما كنتُ أتصور مطلقاً أن يحملها
حامل على أنى أرمى شيخ الإسلام بالكذب . فهى والله عندى
عجيبة جدَّ عجيبة » . ثم بقولك في وسط مقالك : « ونفى صدق
الدليل الشرعى : أقصد منه خطأ من يثبت تيسر رؤية الجنِّ

كروية المرئيات العادية . فإن الجنَّ بلا شك من عالم الغيب الذى
نؤمن به ، على ما صح وثبت عن الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم ، ولا نزيد بعقلنا ولا بعقل غيرنا » !!

* * *

أين يُذهَب بك أيها الرجل ؟ ! أنحن بصدد إثبات حكم
شرعى نتطلب الدليل عليه من الكتاب والسنة ؟ أم نحن بصدد
واقعةٍ أو وقائعٍ معينةٍ ، وقعت بعد انقضاء الوحي بأكثر من
سبعمئة سنة ، فى عصر شيخ الإسلام ؟ ألا تعرف — وأنت
الرجل الذكى العالم — الفرقَ بين الأحكام والقواعدِ واستنباطها ،
وبين الوقائع المعينة وثبوتها ؟ !
وسأُعلِّمُك :

لو كان كلامُ شيخ الإسلام مقرَّراً لوجود الجنِّ فقط ، لطالبه
مُناظره أو مُجادله بالدليل على ذلك من الكتاب والسنة . وهذا
هو الحكمُ الذى يُطلَب من أجل إثباته دليلٌ منصوص من
الكتاب والسنة ، أو دليل مستنبط منهما . ولكنَّ شيخ
الإسلام رحمه الله يرى أن هذا ليس موضع الردِّ على المردود عليه .

فإنه يقول بالحرف الواحد : « وأما كونه لم يتبين له كيفية الجن ومقاماتهم ، فهذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه ، لم ينكر وجودهم » . فهذا هو الحكم بوجود الجن : لم ينسب شيخ الإسلام للرجل المردود عليه أنه ينكر وجودهم ، حتى يقيم عليه الدلائل من الكتاب والسنة . بل أثبت لخصمه أنه « لم ينكر وجودهم » ، ولذلك لم يكتب له في هذا الموضع الدلائل من الكتاب والسنة ، لأن وجودهم — عن هذه الدلائل — ليس موضع الخلاف والرد على ذاك الرجل .

وقد فهم شيخ الإسلام من كلام الرجل المردود عليه ، أنه ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه بكيفية الجن ومقاماتهم . فأراد أن يحججه بالحال المشاهدة عند بعض الناس ، ومنهم شيخ الإسلام نفسه . فقال : « إذ وجودهم ثابت بطرق كثيرة ، غير دلالة الكتاب والسنة . فإن من الناس من رأيهم . . . ومن الناس من كلمهم وكلموه . . . ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب » .

وهذا كلام الرجل العالم الفقيه لما يقول ، الواثق من نفسه ومن صدقه ، ومن تصديق خصمه له إذا حكى ما رأى بعينه وسمع بأذنه . إذ هو يعلم أنه لا يدفع عن الصدق فيما يقول عما شهد به . ولا عن الصدق فيما ينقل من العلم . ويعلم أن أحداً من خصمه لم ينزعه بالكذب قط .

فهذه واقعة — في رؤية شيخ الإسلام للجن وكلامه معهم — وقعت بعد انقطاع الوحي بأكثر من سبعائة سنة . فليس لسامعها إلا إحدى اثنتين : أن يصدق راويها الذي يدعى أنها وقعت له ، بما يعرفه من صدق لهجته ، ومن عدالته وأمانته ، ومن أنه أهل للشهادة تقبل شهادته . ولا يستطيع أن يطلب منه دليلاً على صدقه من الكتاب والسنة . فما يعقل قط أن يطلب منه نصاً من الوحي على أنه صادق في هذه الواقعة أو الوقائع بعينها ! أو يكذب هذا الراوي فيما روى أنه وقع له .

وهذا التكذيب قد يكون للراوي نفسه ، بدفعه عن الصدق ، بما يعلم الدافع من حال الراوي وعدم عدالته . فيكون نفيًا

خاصاً قاصراً على الواقعة أو الوقائع التي يحكيها هذا الراوى .
وقد يكون التكذيبُ عاماً ، غيرَ قاصرٍ على موضع الرواية ،
بل نبيٌّ لأصل المسئلة . فكأنه يقول للراوى — حتى لو عرّفه
بالصدق والعدالة : إن الذى تقول وتحكى لا يُعقل أن يقع قطّ ،
لأن دلائل الكتاب أو السنة الصحيحة تنفيه ، وتجعل وقوعه
محالاً . فأنت إما كاذب مخترع ، وإما واهم متخيل !!

وهذا هو الذى صنعتَه أنت ، وحاولتُ أن أبرئك منه ،
ووضعتُ بين يديك الفرصة لتنفى عن نفسك الشبهة ! فأبيت .
جئتَ لواقعة أو وقائع يروى شيخُ الإسلام — وهو الصادقُ
القول ، الثابتُ العقل ، النيرُ البصيرة — أنها وقعت له ، كما
وقعت لغيره ، فنفيتَها نفياً قاطعاً عاماً فقلت له : « ليس ثم دليل على
صدق أولئك المخبرين ، ولعل أكثرهم كان واهماً ومتخيلاً » !
مَنْ أولئك المخبرون الذين « ليس ثم دليل على صدقهم »
أيها العالمُ الذكى ؟

ليس أماناً — فى هذا الموضوع بعينه ، وفى مقال شيخ الإسلام

بعينه — إلا مخبرٌ واحدٌ ، هو شيخ الإسلام ابنُ تيمية . ثم
مخبرون آخرون له ، لم نعرف من هم ، ولكنه هو الذى أخبرنا
حاكياً عنهم . أتريد أن يكون تكذيبك إنما يقع على أولئك
المخبرين له ؟ فلنفرضُ هذا . ولكن ماذا عن إخباره هو بأنه
جرى له مع الجنِّ شئٌ مما حكى ؟ أهو صادق فيه أم كاذب ؟
أهو واهمٌ فيه ومتخيلٌ ، أم ثابتُ العقل مستيقنٌ ؟ !
هذا هو الذى تتحدثُ فيه ، ودع ما عداه !

* * *

ثم أين فى كلام شيخ الإسلام — فى رسالته التى علّقتُ
عليها — إثباتُ « تيسر رؤية الجن ، كرؤية المرئيات العادية »
— حتى تدعى أنك تقصد بيان خطئه ؟ ثم من ذا الذى زعم
من العلماء ، بل حتى من المخرفين الأغبياء ، من ادعى « تيسر
رؤية الجن ، كرؤية المرئيات العادية » ؟ !

ألا تفقه ما تقول ؟ ! أتكون كلمتى لك مخلصاً لوجه الله —
سبباً لمثل هذا الهراء . بل سبباً لخطأ فى التعبير ، لم تقصد إليه

يقيناً ، حين تقول « ونفى صدق الدليل الشرعى » !! تريد
« ونفى وجود الدليل الشرعى » ! وأنا أعرف أنك ستزعم أنها
غلطة مطبعية . ولكن المصحح الذى كنت تُلصق به كل
الأغلاط فى كتبك ترك العمل معك منذ عهد بعيد !

ثم تغالط وتقول عن حديث الشيطان الذى كان يسرق من
تمر الصدقة « أنه ليس عاماً بالنسبة لكل الناس » ! ومن ذا
الذى زعم لك أنه « عامٌ بالنسبة لكل الناس » ؟! أتريد أن تقولنى
فى مقالى ما لم أقل ؟! إنك تنفى إمكان رؤية الجن نفيًا باتًا عاماً
قاطعاً ، وتستدل بالآية على غير وجهها ، لتكذب بها من يدعى أنه
يراهم فى بعض الأحيان . أى تجعل الآية دليلاً على الاستحالة
الواقعية ، لا الاستحالة العقلية . فهذا العموم فى النفى يكفى فى
نقضه ثبوتُ حادثة واحدة صحيحة ، وهذا هو موضع الاستدلال .

* * *

ثم قاصمة الظهر . وتلك التى لا شوى لها :
إنك منذ درست السنة ، والتزمت منهاجها الحق ،

كنت تأخذ مأخذ الاجتهاد ، وتسير على الطريق السوى .
ولست أرمى إلى إنكار هذا عليك — حتى لا تتأول كلامى
فتوجهه إلى غير ما أقصد . ولعلى كنت من أوائل الدعاة فى مصر
إلى هذا الصراط المستقيم ، وما أظنك تنكر على ذلك . وقد
فخرت بذلك فى مقالك ، ونفيت عن نفسك تهمة التقليد لابن
تيمية أو ابن القيم أو غيرهما . فانظر ماذا فعلت ؟

نقلت عن أحد الكتب ، ولست أسميه لك الآن ، أن
البيهقى روى فى مناقب الشافعى : « عن الربيع بن سليمان ، أنه
سمع الشافعى يقول : من زعم أنه يرى الجن ردونا شهادته ،
إلا أن يكون نبياً » .

أفأستطيع أن أفهم من كلامك — بما أخذت به نفسك
من مذهب الاجتهاد — أنك لا تقلد الإمام الشافعى فى هذا
القول ، وأن قد أدّاك اجتهادك إلى مثل قوله ، فالتزمته قولاً
لك ، تذهب إليه وترتضيه ، وأنك جئت بكلمة الشافعى استئناساً ،
لا استدلالاً ؟ ! وهذا بديهى من معنى قولك ، ومن سياق

حكايته . لا تستطيع منه تفصيلاً ، ولا عنه نكوصاً .

أفتدري إلام ينتهي بك هذا القول وهذا الرأي ؟ إنك باختيارك إياه قولاً ، وبارتضائك إياه مذهباً — تحكم حكماً لا رجوع لك عنه ، ولا مناص منه : أن شيخ الإسلام ابن تيمية ممن لا تقبل شهادته عندك ، لأنه ادعى رؤية الجن والكلام معهم ، بصريح قوله الذي نتحدث عنه .

وأعيد شيخ الإسلام بالله منك ومن اجتهادك ، ومن ادعائك نصرته والذيادة عنه . بل هو أرفع عندنا قدراً ، وأعلى علماً ، وأصدق قولاً ، من أن نأخذه بمثل هذه الكلمة التي نقلت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه . والذي قاله شيخ الإسلام وحكاه عن نفسه وعن غيره ممن يثق به ، نصدقه فيه ، ولا نرى من دلالة الآية ما ينفيه . وأما منا السنة الصحيحة تؤيده في إمكان الرؤية . لا نقصد بذلك إلى العموم الذي تحرف إليه الكلام : « تيسر رؤية الجن » ، كرؤية المريئات العادية — مما لم يقل به أحد قط فيما علمنا .

فانظر أين ذهبت براءتك إلى الله من سوء الظن بشيخ الإسلام ، وبراءتك من رميه بالكذب — في صدر كلامك ؟!

* * *

ما أجد كلمة أصفُ بها عمَلَك هذا ، أحسن من كلمة قالها الطبري في تفسيره^(١) ، يصور بها تناقض من يرد عليه ، قال : « ثم نقض ذلك من قوله ، فأسرع نقضه ، وهدم ما بنى » ، فأسرع هدمه !!

* * *

وتسألني — أيها الصديق القديم — أين كنت يوم نقدت ابن تيمية في تعليقاتك على بعض كتبه ؟ وسأجيبك :

كنت حاضراً ، أرى وأسمع ، وأقرأ وأعجب . ولا أزعم أنك كنت مخطئاً في كل ما تقول ، ولا مصيباً في كل ما تنقد . وكان الصواب قليلاً نادراً . وكنت أحاول التفاهم معك في بعض

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٣١ ، من طبعة دار المعارف ، بتحقيق مع أخى السيد محمود محمد شاكر .

الحالات . فكنت تستقبلني بالهزء والسخرية ، وقلب الجدِّ مزاحاً ، كعادتك التي اصطنعتها منذ بضع سنين . وكنت أسكت . ولا أظنك تنسى ما كان من اشتراكنا في إخراج تهذيب السنن لابن القيم ، وكيف كنت أعارضك في كثير مما تكتب من التعليقات ، التي أخرجُ من أن تُنسب إليَّ بحكم اشتراكنا في العمل . حتى اضطررنا إلى الاتفاق على أن يوقع كل واحد منا على ما يكتب . وكنت — في بعض الأحيان — إذا لم يعجبك حديثٌ ثابت صحيح ، ولم تستطع الحكم بضعفه — تذهبُ إلى تأويله بما يكاد يخرجُه عن دلالة الألفاظ على المعاني . وكنت أنصحك بأن هذه الطريقة هي التي ننعاها وينعاهها علماء السنة على أهل الرأي . فلم تكن ترجع عن اجتهادك . ثم ازداد الأمر حين كتبت هامشة معينة ، حاولت إقناعك ببطلانها ، فأصررت على إثباتها ، فعزمت عليك أن لا تفعل ، وأعذرتُ إليك أنها إذا طُبعت في الكتاب نفضت يدي من الاشتراك في تصحيحه ، إذ لا أستطيع وضع اسمي على كتاب يُنشر فيه

مثلُ هذا الكلام . فلم تعبأ بكلامي . فتركتُ العمل فيه . ولا أذكر أني كتبت مقالاً ، أو نشرت شيئاً تتبعت فيه سقطاتك ، كما زعمت ذلك ونسبته إليَّ .

ولذلك لم يعجبني قولك عني : « فليُرح نفسه من يحاول ذلك ، ويذهب مُتَتَبِعاً سقطات » . وكنت أتمنى أن لا تقوله ، فإن الصدق في غيره .

* * *

وبعد :

فما كنت يوماً ما من المعوقين لك ، الذين يُلقون في طريقك الغبار والأشواك ! فقد نسبت إليَّ ما لم يكن ، بل كان غيره هو الصحيح . فكنت أنصرك في أكثر مواقفك ، وأدفعُ عنك قاذبيك . وكنت — إذا أخذتُ عليك مأخذاً — نصحتك به مواجهةً صريحةً ، غير ملتوية ولا متخاذلة . وكنت في أول أمرك تقبل نصحي ، أو تقنعني بخطئي . ثم كانت عاقبة أمرك — معي على الأقل — أن لا تقبل نصحاً ، وأن تركب رأسك ،

وتسير في طريقك . فنسكتُ ولا نعوقك ولا نُلقي في طريقك
غباراً ولا شوكة . بل لطلما أسأتَ إليّ ، وأنا أعفو وأصفح ، وأقابلُ
إساءتَكَ بالوفاء ، والحرص على المودة القديمة التي كانت قائمة .
ولماذا ألقى في طريقك الغبارَ والأشواك ؟ وأنا أراك منذاً كثر
من عشر سنوات واقفاً على هوةٍ غطاؤها لا يكاد يتماَسكُ ،
مما تُحمِّله من أعباء ، وتصنع به من أحداث . وأنا أدِينُكَ
بخطِّكَ ، لا بكلامي ولا بكلام غيري ، وقد أحكمتُ لك
الحكمةَ ، وزمامها بيدي . وكان الظنُّ بك أن لا تضربَ هذه
اليَدَ ، إن يكن وفاءً للصدقة القديمة ، فخوراً أن يُفِلَّتَ الزمامُ .
ولكنَّكَ لا تُبقي ولا تذر .

هدانا الله جميعاً إلى سبل السلام ، ووفقنا للحق فيما نقول
ونعمل ، وجنبنا مواقفَ الزلل ، ومهاوى الأهواء ، ونزواتِ
الشیطان . وجعلنا من الهادين المهديين . والسلام .

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

بمنه

الإثنين } ٨ شوال سنة ١٣٧٤
٣٠ مايو سنة ١٩٥٥